

مجتمع الدراسة وعينة الدراسة: تحليل منهجي نقدي لأسس اختيار العينة في البحوث التربوية

الثامن مهارات بحثية

صيتة السبيعي



المقدمة

تُعد منهجية البحث العلمي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي عمل بحثي رصين، حيث تضمن تنظيم خطوات البحث وتحقيق أهدافه بدقة وموضوعية. ومن بين أهم عناصر هذه المنهجية تحديد مجتمع الدراسة وعينتها، إذ يمثلان الأساس الذي تُبنى عليه عملية جمع البيانات وتحليلها.

ونظرًا لصعوبة دراسة جميع أفراد المجتمع في أغلب البحوث، يلجأ الباحث إلى اختيار عينة تمثل هذا المجتمع، مما يفرض عليه الالتزام بمعايير علمية دقيقة لضمان صدق النتائج وإمكانية تعميمها. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في توضيح الفرق بين مجتمع الدراسة وعينة الدراسة، وتحليل مبررات اختيار العينة، وتقييم مدى توافر الشروط العلمية فيها.

مفهوم مجتمع الدراسة

يُقصد بمجتمع الدراسة جميع الأفراد أو العناصر التي ترتبط بموضوع البحث، والتي يسعى الباحث إلى تعميم نتائجه عليها. ويشمل هذا المجتمع كافة الوحدات التي تشترك في خصائص معينة مرتبطة بمشكلة الدراسة.

ولا يقتصر تحديد المجتمع على وصفه بشكل عام، بل يجب أن يكون تحديده دقيقاً من حيث الزمان والمكان والخصائص، مثل تحديد “معلمي المرحلة الثانوية في مدينة جدة خلال العام الدراسي الحالي”، بدلاً من الاكتفاء بعبارة عامة مثل “المعلمين”.

◆ تحليل نقدي:

يقع بعض الباحثين في خطأ منهجي يتمثل في الغموض في تحديد مجتمع الدراسة، مما يؤدي إلى ضعف في تفسير النتائج، ويحد من إمكانية تعميمها بشكل علمي.

مفهوم عينة الدراسة

عينة الدراسة هي جزء من مجتمع الدراسة يتم اختياره وفق أسس علمية بهدف تمثيل المجتمع تمثيلاً دقيقاً. وتُستخدم هذه العينة لجمع البيانات، ومن ثم تعميم النتائج على المجتمع الأصلي.

ويُفترض في العينة أن تعكس خصائص المجتمع بشكل حقيقي، بحيث لا يحدث انحياز يؤثر على مصداقية النتائج.

◆ مثال توضيحي:

إذا كان مجتمع الدراسة يشمل جميع المعلمين في مدينة معينة، فإن اختيار عدد محدد منهم وفق آلية علمية يمثل عينة الدراسة.

الفرق بين مجتمع الدراسة وعينة الدراسة

يمكن توضيح الفرق بينهما من خلال التحليل المفاهيمي؛ حيث يمثل مجتمع الدراسة الإطار الكلي الذي يشمل جميع الأفراد المرتبطين بموضوع البحث، في حين تمثل العينة جزءًا من هذا المجتمع يتم اختياره للدراسة الفعلية.

ويُعد الهدف من تحديد المجتمع هو وضع حدود البحث، بينما تهدف العينة إلى تمثيل هذا المجتمع بطريقة تمكن الباحث من دراسة الظاهرة عمليًا. وبذلك فإن العلاقة بينهما علاقة "الكل بالجزء"، حيث تعتمد جودة النتائج على مدى دقة تمثيل العينة للمجتمع.

انواع العينات في البحث العلمي

تنقسم العينات في البحث العلمي إلى نوعين رئيسيين، يختلفان من حيث آلية الاختيار ومدى القدرة على التعميم:

أولاً: العينات الاحتمالية، وهي التي تعتمد على أساليب عشوائية في الاختيار، بحيث يكون لكل فرد في المجتمع فرصة متساوية في الاختيار. ومن أبرز أنواعها العينة العشوائية البسيطة، والعينة الطبقية، والعينة المنتظمة. وتُعد هذه العينات الأكثر دقة وموضوعية، حيث تقلل من التحيز وتسمح بتعميم النتائج.

ثانياً: العينات غير الاحتمالية، وهي التي يتم اختيارها بناءً على اعتبارات غير عشوائية، مثل السهولة أو القصد. ومن أمثلتها العينة القصدية والعينة الميسرة. وعلى الرغم من سهولة استخدامها، إلا أنها قد تعاني من التحيز، مما يؤثر على دقة النتائج.

◆ تحليل نقدي:

لا يُعد اختيار نوع العينة قرارًا شكليًا، بل هو قرار منهجي يؤثر مباشرة على قوة البحث، إذ إن استخدام عينة غير مناسبة قد يؤدي إلى نتائج غير دقيقة أو غير قابلة للتعميم.

مبررات اختيار العينة

تتعدد الأسباب التي تدفع الباحث إلى استخدام العينة بدلاً من دراسة المجتمع كاملاً، ومن أبرزها صعوبة الوصول إلى جميع أفراد المجتمع، خاصة إذا كان كبيراً أو منتشراً جغرافياً. كما أن استخدام العينة يوفر الوقت والجهد والتكلفة، ويسمح بإجراء الدراسة بشكل أكثر كفاءة.

إضافة إلى ذلك، قد تكون دراسة العينة أكثر دقة في بعض الحالات، نظراً لإمكانية التحكم في ظروف جمع البيانات.

◆ تحليل نقدي:

على الرغم من هذه المبررات، إلا أن استخدامها لا يُعد كافياً ما لم يتم اختيار العينة بطريقة علمية، حيث إن العينة غير المناسبة قد تفقد البحث مصداقيته.

شروط اختيار عينة الدراسة

لكي تكون العينة صالحة علميًا، يجب أن تتوفر فيها مجموعة من الشروط الأساسية. من أهم هذه الشروط أن تكون ممثلة لمجتمع الدراسة، وأن يكون حجمها مناسبًا لطبيعة البحث، وأن يتم اختيارها بطريقة تقلل من التحيز، ويفضل أن تكون عشوائية.

كما ينبغي أن تتسم العينة بدرجة من التجانس، وأن تعكس الخصائص الأساسية للمجتمع.

◆ تحليل نقدي:

من الأخطاء الشائعة في البحوث اختيار عينة ميسرة فقط لسهولة الوصول إليها، دون مراعاة مدى تمثيلها للمجتمع، وهو ما يُضعف القيمة العلمية للدراسة.

تطبيق عملي على مجتمع وعينة الدراسة

في إطار دراسة بعنوان “دور التطوير المهني للمعلمين في تحسين جودة التعليم”، يمكن تحديد مجتمع الدراسة بأنه جميع معلمي المرحلة الثانوية في مدينة جدة.

أما عينة الدراسة، فيمكن أن تتكون من عدد محدد من المعلمين يتم اختيارهم باستخدام أسلوب العينة العشوائية الطبقية، بحيث يتم تمثيل التخصصات المختلفة والجنسين بشكل متوازن.

وقد تم اختيار هذا النوع من العينات نظرًا لقدرته على تحقيق تمثيل دقيق لمجتمع الدراسة، وتقليل التحيز، وزيادة إمكانية تعميم النتائج.

المناقشة النقدية

يتضح من التحليل أن نجاح أي بحث علمي يعتمد بشكل كبير على دقة تحديد المجتمع واختيار العينة. فعندما يكون المجتمع محددًا بدقة، والعينة مختارة بطريقة علمية، تزداد موثوقية النتائج.

في المقابل، تعاني بعض الدراسات من مشكلات منهجية، مثل صغر حجم العينة، أو عدم توضيح طريقة اختيارها، أو الاعتماد على عينات غير ممثلة، مما يؤدي إلى نتائج غير دقيقة.

◆ الاستنتاج النقدي:

إن اختيار العينة ليس مجرد خطوة إجرائية، بل هو قرار منهجي يؤثر على جميع مراحل البحث، وبالتالي يجب أن يتم بعناية فائقة.

الخاتمة

في ضوء ما سبق، يتضح أن مجتمع الدراسة وعينتها يمثلان عنصرين أساسيين في منهجية البحث العلمي، حيث يؤثران بشكل مباشر على جودة النتائج وإمكانية تعميمها. كما أن الالتزام بالمعايير العلمية في اختيار العينة يُعد شرطاً ضرورياً لنجاح البحث.

وعليه، ينبغي على الباحثين إيلاء اهتمام كبير لهذه الخطوة، وتجنب الأخطاء المنهجية التي قد تُضعف من قيمة الدراسة.



Thank You